قيام الحضارة وسقوطها في نظرية أرنولد توينبي (التحدي والاستجابة)

م. بهاء موسى حبيب
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المبحث الأول

أرنولد توينبي النشأة والتكوين الفكري

ولد أرنولد توينبي في شهر نيسان ١٨٨٩ في أسرة متعلمة، أذ كان أبوه من دعاة الإصلاح الاجتماعي، وكانت أمه قد تخرجت من إحدى الجامعات البريطانية.

اكتسب توينبي من أمه حب التاريخ، ومن عمها _وهو قبطان متقاعد في شركة الهند لشرقية _حب قصص الرحلات البحرية القديمة والمثيرة (١).

اتاحت له جامعة أكسفورد الفرصة، لغرض الدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا، من عام١٩١١وحتى عام١٩١٢، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى، التحق بدائرة الاستخبارات السياسية، في وزارة الخارجية البريطانية، وهذه الوظيفة مَّكْنُته من رؤية الخلفية السياسية لقرارات الحكومة(٢).

سافر توينبي عام ١٩٢١ أثناء الحرب التركية اليونانية ، إلى اليونان، ليراسل جريدة (المنشستر غارديإن)، وألف كتاباً هناك، اسَّماه (قضية الغرب في اليونان وتركيا)

أمضى بعد ذلك ثلاثين سنة، من عام ١٩٢٥، حتى تقاعد عام ١٩٥٥، أستاذا وباحثا، في المعهد الملكي للدراسات الدولية، وخلال هذه المدة، طاف توينبي في معظم أجزاء العالم باحثا وزائرا ومنقبا(٣) ولهذا نجد إن تكوينه الفكري، كان متعدداً ومتنوع المصادر، في كل الأمثلة التي تدعم موسوعته (بحث في التاريخ).

في بداية اطلاعاته قرأ توينبي (تدهور الحضارة الغربية)(٤) لأزوفالد شبنجلر(٥) وبعد قراءته لهذا الكتاب اكتشف إن تفسير نشوء الحضارات وتدهورها، في هذا الكتاب، عقيم وإنه لم يأت بتفسير لأي شيء، لأن الأمر _في رأي توينبي_ لا يعدُ، إن يكون قانونا طبيعيا، اكتشفه شبنجلر، ويتعين عليك إن تأخذ بهذا القانون كقضية مُسّلم بها(٦).

وجد توينبي ضالتهُ في تفسير , نشوء الحضارات و سقوطها في رواية (فاوست) (٧) للشاعر الألماني جوته (٨)، حيث يقول : « إني عثرت على الدليل بالفعل في رواية فاوست لجوته وهي الرواية التي ألممتُ الحسن الحظ أبان الدراسة. « (٩)

و استمد توينبي الفكرة من تحدي الشيطان لله , بواسطة إغراء مخلوقهِ الإنسان , وقبول الله لهذا التحدي الذي أسفر عن نزول الإنسان إلى الأرض (١٠) , ومن هنا استطاع توينبي , إن يصوغ نظرية التحدي و الاستجابة , وتوظيف هذه النظرية في تفسير , نشوء الحضارات وانهيارها

يؤكد توينبي على ضرورة دراسة تاريخ العالم اليوناني و الروماني , لأنه يمتلك , مزايا واضحة , باعتباره , حقلا من حقول التدريب و التربية . (١١)

ويظهر تأثير توينبي، بشكل واضح , في الفكر اليوناني , عندما صاغ توينبي , حدا وسطا لقياس مستوى التحدي و الاستجابة الأمثل (١٢) , وأطلق عليه (الوسط الذهبي) , إذ بازدياد شدة التحدي، فوق المتوسط، لا تحدث استجابة ناجحة، لأنه

سوف يسحق الاستجابة, وإذا كان التحدي , تحت المتوسط , فإن لا يثير استجابة ناجحة . (١٣)

نلاحظ , إن هذا المفهوم , هو نفسه , عند أرسطو (١٤) , فالإفراط بالكثرة خطيئة و الإفراط بالأقل , هو كذلك مذموم , و الوسط , هو وحدة الذي يستحق الثناء (١٥) ويقصد بالوسط حالة الاعتدال (١٦)

ونجد لمقدمة ابن خلدون (١٧) , دوراً في رفد أرنولد توينبي , بكثير من الأفكار, التي وظفها في كتابه (بحث في التاريخ) فبحث أرولند توينبي عن ابن خلدون , لهو دليل على تأثره بكتاب , المقدمة حيث يقول : (ابن خلدون نقطة الضوء الوحيدة في ذلك الأفق وأنة بلا ريب هو الشخصية البارزة في تاريخ الحضارة (١٨).

نتلمس تأثر توينبي بأبن خلدون, في تفسيره , لتحلل الحضارات وانهيارها إذ يعزو ضعف الحضارة سقوطها إلى تغيير فلسفة الفئة الحاكمة في الحكم, فبدلا من إن تستمر على خدمة المصلحة العامة, فإنها تتحول إلى فئة مسيطرة لا تهتم إلا بخدمة مصالحها الخاصة, حتى وإن كانت على حساب مصلحة المجموع أو الأغلبية الساحقة(١٩) وكذلك يرى ابن خلدون, إن العدوان من قبل السلطان على أموال الناس, سبب في خراب العمران وانهيار الحضارة(٢٠).

وتتوافق رؤية توينبي مع رؤية أبن خلدون في أبراز دور الأديان وأهميتها في ولادة وبناء أي حضارة ولا شك في أن الاثنين قد استوعبوا أهمية وقيمة الأديان وقدرتها على رقي الإنسان في الفكر والسلوك . ولذلك نجد هذا التوافق , إذ يقول توينبي «اذا القينا ببصرنا على الحضارات نجد إنه يكمن وراء كل منها نوع من العقيدة الدينية العالمية وعن طريقها تولدت الحضارة»(٢١).

وكذلك ابن خلدون يقول: «إن الدول العامة الاستيلاء , العظيمة الملك , أصلها الدين, إما نبوة أو دعوة حق»(٢٢).

وبهذا فإننا نجد لمقدمة ابن خلدون, دوراً في التكوين الفكري لأرنولد توينبي من خلال بعض النصوص المتشابهة, بينهما, لا سيما وإن أرنولد توينبي, قد أشاد في بحثه عن ابن خلدون , كما ذكرنا سابقا.

وممن تأثر بهم توينبي كذلك, هو (توماس كارليل)(٢٣), فقد كان لفكرة البطل عند كارليل التأثير الواضح في فكر توينبي(٢٤). ولكن توينبي قد طور الفكرة , التي وقف عندها كارليل, فكارليل , اشترط , إن يكون البطل أرستقراطيا, إما الزعماء الشعبيون , وقادة الحركات الثورية , فليسوا إلا أفاقين على حد زعمه(٢٥), وكان يعادي الديمقراطية ويسخر منها ويخشاها وليس كتاب الابطال, سوى رد على فكر المساواة ونقد لها حيث اثنى على الإبطال بشكل مطلق(٢٦).

الا أن توينبي وعلى الرغم من تأثره بفكرة كارليل , الا أنه أختلف معه في جزئيات الفكرة , وكانت أفكار توينبي أكثر تطوراً من كارليل فقد كانت له أراء واضحة في مناصرة الحريات والعداله وتحدي النزعات الأرستقراطية المنحرفة(٢٧),فالبطل عند توينبي حالة نسبية وليست مطلقة, حيث يقول: «إن الأقلية المبدعة التي قد انتهى أمر إبداعها وانحط شانها , فباتت أقلية مسيطرة»(٢٨) , ومن خلال ذللك»يحدث تباغض يقود إلى الانقسام , وبدوره يحطم العلاقات بين الأقلية والأكثرية»(٢٩).

فالشعب , هو صاحب السيادة , والحاكم , هو طرف في العقد الاجتماعي , و خاضع لشروطه , وإذا ما خاب الحاكم في تامين حقوق الأفراد , فإن العقد , يعد ملغى و يستعيد , الشعب حرياته الأصلية , ويشكل حكومة جديدة ,(٣٠)

لاحظنا , إن ارنولد توينبي , قد أقتبس أصل فكرة الإبطال عن كارليل , ولكنه لم يقف , عند الحد الذي آمن به كارليل , فأخذ يطور فكرة البطل أو الأقلية المبدعة , وبشكل يتلائم مع الأفكار التحررية و الديمقراطية .

وتأثر توينبي بمفاهيم الفيلسوف الفرنسي , (هنري برجسون) . (٣١) , وخاصّة فيما يتعلق بالدور الخلاق الذي تقوم به الأقلية المبدعة(٣٢).

«فالأفراد الذين يندفعون إلى السير في سبيل التقدم ... هم أعظم من كونهم رجال عاديين ... مثل هؤلاء عباقرة بالمعنى الحرفي وليس بالمعنى المجازي» (٣٣).

درس توينبي , المدرسة الاسمية (٣٤) والمدرسة الاجتماعية(٣٥) ولكنه لم يناصر أحدى هاتين المدرستين, بقدر ما يقوم بالتوفيق بين أرائهما , إذ يقول «إن المجتمع هو ميدان الفعل إلا إن مصدر الفعل بأسره مرجعهُ الأفراد الذي يتكون منهم المجتمع.» (٣٦)

لقد ساعد هذا , التكوين, الفكري, لأر نولد توينبي, على رسم منهجيته, في كتابة التاريخ وتفسير إحداثه.

المبحث الثاني

منهج البحث التاريخي عند توينبي

تتخذ عملية البحث التاريخي للإحداث التاريخية, شكل التحدي ,الذي يستثير عقول المؤرخين, فيستجيبون لهذا التحدي ,ليقوموا بالتشخيص التاريخي ,لتلك الإحداث ,حتى وإن كان الحدث قد طواه الماضي ,فمثلا ,ما أثاره اِنحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها,من تحد(١),دفع جيبون(٢),لكتابة مُؤلَّفه(تاريخ أفول وسقوط الدولة الرومانية)(٣),وكذلك نجد توينبي يقول :(إن اللغز الهائل الذي يتمثل في جرائم البشر وحماقاتهم ,هي

التي،ألهمتني في كتابة ،(بحث في التاريخ)(٣). فدراسة التاريخ ليس فنا من الفنون ،التي تدرس لذاتها ،بل هي دراسة غائية تفضي إلى نتائج هامة في مجال تصورنا للمشهد الأكيد ، من خلال منظور حركة الإنسان(٤).

أنتقد توينبي ،المؤرخ فشر، الذي لم يجد في التاريخ، أي إيقاع متكرر أو أنماط ، مظهراً إصراره بوجود حقائق ومعطيات، كافية للوصول إلى استنتاجات يمكن الاعتماد عليها، حول صفات التاريخ وخصائصه. (٥)

يرفض توينبي إن يعدَّ ، حركة التاريخ حركة دورية فارغة أذ يقوم ، بتوظيف فكرة الحركة الدورية للتاريخ، بشكل يتلائم مع حالة التقدم والتطور ، فمن المسلم به، إن حركة العجلة ، حركة تكرارية بالنسبة للعجلة ذاتها، ولكن العجلة ، نفسها، قد وظفت لتسيير العربة كلها إلى الإمام(٦) فإذا «أريد للعربة إن تسير قدما، وجبت عليها إن تُحمل على عجلات تدور على وتيرة واحدةً. (٧)

وبهذا نجد إن الحركة الرئيسية التي تحملها الحضارة من الأول إلى الأخير ، ليست حركة تكرر نفسها، ولكن حركة تسير قدما،ذلك لأن البشرية ليست (سيوفوس). (٨)

عَدّ توينبي، إن كل جزيئه، من جزيئات التاريخ، لا يمكن إن تؤخذ بمعزل عن جُمْلَةِ سياق التاريخ كلهِ، فليس بمقدور احد إن يقتطع شريحة من التاريخ ليضعها تحت مجهره ، ويختبر جزيئاتها ويستنبط مغزاها(٩). ويضرب توينبي مثالا على ذلك بالنهضة الفكرية في بريطانيا أذ يقول: «إن من المسلَّم به عند الجميع إن النهضة من جانبها الثقافي والسياسي، نسمة حياة هيت من ايطاليا». (١٠)

وكذلك أمر حركة الإصلاح الديني لم تكن ظاهرة على إنكلترا وحدها ، ولكنها ، حركة قامت في شمال أوربا الغربية، وهدفت إلى التحرر من السلطات الدينية للجنوب أي كنيسة روما. (١١)

فأذن ، وحدة الدراسة التاريخية القابلة للفهم ، هي مجموعة خاصة من البشرية ، يطلق عليها توينبي اسم (مجتمع) أو (حضارة) وقد قسم المجتمعات للوفاء بإغراض دراسته إلى أحدى وعشرين مجتمعا ، أندرس معظمها ، ولم يبقى منها سوى خمسة مجتمعات هي المسيحية الغربية و المسيحية الأرثدوكسية و المجتمع الإسلامي و المجتمع الهندي و مجتمع الشرق الأقصى. (١٢)

يتضح لنا بعد عرض هذا التقسيم ، أنَّ ميدان الدراسة القابلة للفهم بذاتهِ ، هو يقينا مجتمع يضم عدداً من الجماعات ، لا بريطانيا وحدها ، ولكنه يضم فرنسا و أسبانيا و هولندا ، والبلاد الاسكندنافيه و غيرها أيضا (١٣) ، وهكذا يؤكد توينبي (إن الجزء لايمكن إن يفهم إلا بدراسة الكل و إخضاعه لعملية تركيز تستوعب جوانب كل الجزئيات في أطول سياق تاريخي ممكن وواسع) . (١٤)

تميز منهج البحث ، عند توينبي ، في الاهتمام بالتفصيلات التاريخية الدقيقة ، وعزوفة عن التأملات الميتافيزيقية الغامضة (١٥) فمنطق توينبي لدراسة التاريخ هو منطق (١٦) الفلسفة الوضعية (١٧) يشير توينبي إنه كان يستخدم الطريقة العلمية في بحث مشاكل الحضارة (١٨)وذلك باستخدام نظرية التحدي والاستجابة على مجمل تاريخ العالم .(١٩)

فاستخدام توينبي للمنهج التجريبي الذي يقوم على المشاهدة للتعرف على أسباب نشأة الحضارات و تدهورها ، هو المنهج الذي يمثل في جملته ، النزعة التجريبية المعروفة في الفلسفة الإنكليزية الحديثة بصفة عامة (٢٠)

اقرَّ توينبي، ثلاث وسائل رئيسة لمعاينة الموضوعات ومنها الظواهر البشرية، وهذه الوسائل هي:

أولا: تحقيق الوقائع وتسجيلها.

ثانيا: أستخلاص قوانين عامة عن طريق دراسة مقارنة للوقائع المحققة.

ثالثا: إعادة تصوير الوقائع بطريقة فنية(٢١).

ومن خلال هذه الأساليب المتبعة ، تتضح مهمة البحث بكونه عملية منطقية، يراد من وراءها إحالة مواقف غير محددة وباعثة على الشك إلى مواقف محددة باعثة على اليقين وليس الغرض من البحث سوى الوصول إلى الاعتقاد. (٢٢)

تقع على عاتق المؤرخين تصحيح آراء الجماعات التي يعيشون ويكدحون في محيطها أكثر مما إن يوضحوا آراء تلك الجماعات(٢٣) لأن توينبي يحتج على المؤرخين ، الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج الحياة والأحداث. (٢٤)

ينقد توينبي التعصب العرقي لدى بعض المؤرخين وذلك باعتناقهم النظرية العرقية التي تعتبر الجنس الآري ذا البشرة البيضاء أسمى الأجناس(٢٥) ، فيبين توينبي، نقص هذه النظرية من خلال الأمثلة التي يسوقها ، فهناك ، أعضاء ينتمون إلى جميع السلالات التي أسهمت في قيام الحضارات (٢٦) وكما إن هناك عناصر بيضاء لم تسهم في قيام أي حضارة(٢٧) فجميع العروق مؤهلة للحضارة.(٢٨)

يرى توينبي في الأحداث التاريخية ، جانبين ، هما الجانب الروحاني و الجانب المادي، وهنا يفترق عن غيره من المؤرخين ، الذين أما إن يفسروا الحدث ، تفسيرا ، ماديا ، مثلما يفعل فلاسفة الماركسية(٢٩) أو يفسروه تفسيرا روحانيا فقط

، فيذهبون إلى إن الروح تشتمل في مجرى التاريخ(٣٠) ، ويقوم توينبي في ذلك: (لا يعيش الإنسان في ظل قانون واحد لأنه يحيا في ظل قوانين ، الأول ناموس الله، والثاني، حرية محدودة للإنسان)(٣١)

كان توينبي يحرص، إن يكون توفيقيا، قدر الإمكان ، ليكون منهجه في البحث، ذو إبعاد شمولية ، بعيدة عن التعصب ، أو التطرف الشخصي، وهو لم ينحاز لأي مذهب في التاريخ ، فحاول إن يجمع المذاهب كلها في مسار الكتابة التاريخية، ويؤلف فيما بينها ليجعلها متناسقة ومتناغمة في معالجة الحدث التاريخي.

المبحث الثالث
قيام ونشوء الحضارات وسقوطها في استقراء توينبي

يفسر ارنولد توينبي عملية , قيام ونشوء الحضارات و تفككها و تدهورها من خلال نظرية، (التحدي و الاستجابة)(١)، حيث يترتب عليه تحول(٢) من حالة ألين إلى حالة الياخ (٣) أي من دور السكون إلى دور التطور.

اذا أرادت الحضارة إن تكون قوية روحيا و ثقافيا و ماديا فإنها بحاجة إلى محيط قاس، بحيث كلما اشتد التحدي زاد الواقع المحرض للقوة والنمو(٤)، والذي ينتج عن نمو مقابل، يقود إلى ردٍّ موفق(٥).

وتفسير توينبي لقيام الحضارات ، يستند على تحديين رئيسيين الأول (تحدي الطبيعة)(٦) والثاني (التحدي البشري)(٧)، والعامل الفاعل في فعل التحدي، سواء، كان طبيعيًّاً أو بشرياً، يعود للأقلية من السكان التي تتصف بالإبداع الفكري والاجتماعي والسياسي والعسكري ، والتي تتعاون مع أفرادها جميعاً في أداء مهمتهم على وجهها الأتم، ليكون هدفهم ، خدمة البلاد والمجتمع ، وتذليل قوى الطبيعة(٨) وقد قسم توينبي التحدي الذي يواجه المجتمع إلى:

أولا: تحدي الطبيعة

يفسر توينبي، من خلال هذا المنطق، عملية نشوء الحضارات وازدهارها حيث يقول : «إن الحافز نحو نمو الحضارة تزداد قوته ، كلما ازدادت قسوة البيئة الطبيعية»(٩)، فمثلا، كانت حجم الفيضانات في دجلة والفرات هائلة ولا يمكن لأحد إن يتكهن بها فحدوث ، فيضان كبير واحد يكفي ، إن يغمر الأراضي في الجانبين، على مدى البحر، ويقتلع بيوت الطين ، ويضيع المحصول، وسط بحيرة طينية(١٠)

ورغم ذلك ، تميز السومريون بابداعتهم في الحضارة الإنسانية، كآثارهم العمرانية، وكذلك الفنون والنظم الاجتماعية والسياسية ، وغيرها من المقومات الحضارية التي أثرت أثرا بارزا في تقدم الشعوب الأدنى والدليل على ذلك ، هو اختراعهم الكتابة، التي أوجدوها، وطورها والتي عرفت بعدئذ بالخط المسماري. (١١)

كان النهر الأصفر في الصين، غير صالح للملاحة في فصل الشتاء، بسبب الأنجماد وفي فصل الصيف، يسبب ذوبان الثلوج حدوث الفيضانات المدمرة، على عكس من نهر اليانجستي، الذي كان صالحا للملاحة في جميع فصول السنة ، وبالرغم من ذلك فقد انبعثت الحضارة الصينية على النهر الأصفر لا على اليانجستي(١٢).

ولا يكون لشدة الموقع في بعض الأحيان تحديا فقط، وإنما يكون في بعض الأحيان نجدة» للحضارة، فقد نجت مدينة البندقية ، بقيامها على بحيرات ضحلة، من الاحتلال العسكري الأجنبي قرابة ألف سنة(١٣).

فأذن الحضارات تتوالد في البيئات التي تتسم بالمشقة غير العادية ، والتي لا تتسم بسهولة الحياة(١٤).

ثانيا: التحدي البشري:

بعد إن أكمل توينبي عرض التحدي الطبيعي في نشوء الحضارات تطَّرق إلى التحدي البشري الذي يحفز الطاقات لقيام الحضارات وجعلها توينبي ضَّمن ثلاثة دوافع.

أولا: (دافع النكبات) ثانيا: (دافع الضغط) ثالثا: (دافع العقوبات)(١٥).

الأول: (دافع النكبات)

يمثل ، هذا الدافع ، نكبة تصيب الدولة ، إثناء الازدهار ، فتحاول إن تسترد ما فقدته ، في هذه المرحلة من هيبة»،(١٦) فمثلا عام ١٤٠٢ هاجم ، تيمورلنك العثمانيين، عند أنقره ، وتمكن من هزيمة العثمانيين هزيمة ساحقة ، وأسِر سلطانهم بايزيد(١٧).

داهمت هذه النكبة العثمانيين في نفس الوقت الذي كانوا فيه على وشك اِستكمال غزوهم ، مقر المسيحية الأرثوذوكسية الرئيسي في شبه جزيرة ، البلقان، وكان من المؤمل ، إن تنتظر الدولة العثمانية، انهيار صرح إمبراطوريتهم ، غير المكتمل(١٨) ، ألا إن هذا لم يحدث اذ لم يحضر نصف قرن بعد ذلك أي في عام ١٤٥٣، حتى تمكن محمد الفاتح(١٩) من فتح القسطنطينية ودخل كنسية أيا صوفيا(٢٠) فحقق بذلك محمد الفاتح إنجاز للإمبراطورية العثمانية داخل العمق الأوربي، بعد نكبتها على يد تيمورلنك.

ثانيا: (دافع الضغط)

والدافع الثاني، الذي يرتقي بالحضارة ، هو حافز الضغط الخارجي المتواصل ، ودائما، الذي يتعرض إلى مثل هذا

الضغط ، هي ولايات التخوم والحدود(٢١)، فغزو الحضارة الهلينية وضغطها على الولايات العربية، أدى بالإسلام إلى طردها وأزاحتها من سورية ومصر ومن ثم القضاء على الإمبراطورية الرومانية(٢٢).

تقول المستشرقة زيغريد هونكه(٢٣).

«والإسلام جمع القبائل المتنازعة المفكَّكة ليجعل منها في سنوات قلائل شعبا عظيما، ولم يأت عام ٦٣٥م إلا وقد هزم الجيش البيزنطي وبعد عامين فقط - وفي معركة واحدة - تقوضت دعائم الفرس...»(٢٤).

يؤكد توينبي هذه الحقيقة من ناحية المستقبل أيضا بقولهِ «يمتلك العالم العربي حافزا خاصا يدفعه إلى الاتحاد ، إنه يعاني من الضغط الأجنبي»(٢٥)

. ثالثا: دافع العقوبات:

إن ما لاقتهُ بعض الأجناس البشرية والطبقات الاجتماعية من ألوان الاضطهاد على أيدي الفئات الطاغية المستبدة في مختلف الشعوب كان باعثاً لطوائف من تلك الأجناس والطبقات على خلق أرقى العقائد وأزهى الحضارات(٢٦) ، فمثلا كان لممارسة سياسية التميز العنصري والاضطهاد ، الذي مارسْتهُ بريطانيا ، بحق الهنود في جنوب أفريقيا ، أثرٌ في تحفيز غاندي، إلى تنظيم شؤون الجالية الهندية ، فأسس عام ١٨٩٤م، مؤتمراً وطنياً لضمان حقوقهم ، وكذلك كان له في التعليم والإرشادات الصحية ، من اجل إيجاد مجتمع سليم ، وقوي ، يتمكن بالتالي من السعي في مضمار الخطوة الثانية في انتزاع الحقوق من السلطة الحاكمة وهذا، لا يتم إلا من خلال مجتمع فاضل يقتضي بتبادل الثقة بين إفراده. (٢٧)

حدود التحدي

من بين شروط التحدي المحفزَّ للحضارة ، هو إن لا يكون ذلك التحدي، مفرطا، في صعوبته ، بحيث يدمر المقابل ، ولا بالغا في سهولته ، بحيث تنشأ عنه الاستهانة ، وإنما لابد إن يكون التحدي (متوسطا) بحيث يولّد أقصى إستجابة ممكنة(٢٨)،وقد دعا توينبي هذا الحد الوسط (بالوسط الأمثل)، حيث يقول «ثمة مدى ، متوسط الشدة، يكون الحافز عنده ، في أعلى درجاته ، وسنطلق على هذه الدرجة بالدرجة المثلى». (٢٩)

كان لجفاف الأراضي في شبه الجزيرة العربية - بعد إن كانت مكتظة بالأشجار والأنهار - دور في هلاك أقوام كأملها كعاد وثمود، مدن ذكرها المؤرخون اليونانيون والرومان ولم يبقى لها اثر (٣٠)وقد ذكرها الله تعالى في محكم كتابه.

«واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية «(٣١) وبهذا يصح التحدي مهلكاً ، إذا خرج عن نطاق الاعتدال .

تحلل الحضارة وانهيارها

يكون ، الفارق الأساسي بين مرحلتي النمو والسقوط , هو إن الأقلية الخلاقة في المرحلة الأولى تكون قادرة على القيام بالردود الناجحة المستمرة على سلسلة من التحديات المتجددة (٣٢) و في المرحلة الثانية , تعجز الأقلية المبدعة عن تقديم حلول صحيحة للمشكلات التي تواجة المجتمع(٣٣)

وبالتالي تتحول من أقلية مبدعة تتبعها الأغلبية بشكل طوعي إلى أقلية مسيطرة تسعى إلى الاحتفاظ بمركز لم تعُد جديرة به باستخدامها للقوة و البطش و تصبح كالزمّار الذي فقد مهارته في إغراء أرجل الجمع للرقص فيلجأ إلى إبدال المزمار بالسوط لإجبارهم على الرقص (٣٤)

و كنتيجة لهذا الاستكراه على الطاعة يحدث انفصال بين الأكثرية و الأقلية المسيطرة و يبدأ ما يسميه توينبي (بزمن الاضطرابات) (٣٥)

ينتقد توينبي المبدأ الذي يردُّ السقوط الحضاري إلى فقدان السيطرة على المحيط و العجز عن صد الاعتداءات الخارجية , حيث لا يعتبرها توينبي سببا للسقوط و لكن نتيجة انهيار سابق , قد حدث في قلب الحضارة نفسها (٣٦) وإن أقصى ما يفعله الغزو الخارجي هو توجيه ضربة قاضية إلى المجتمع، فيلفظ أنفاسه الأخيرة و لكن إذا حدث العدوان الخارجي على مجتمع في مرحلة نموه فإنه يشكل تحديا يستثير طاقاته الكامنة و عوامل الإبداع التي فيه (٣٧)

وتعمد الأقلية المسيطرة إلى خلق الدولة الجامعة بواسطة الحروب لتقوم بقهر المعارضين و استئصالهم فتحدث الإضطرابات و الصراعات مابين الدول الإقليمية داخل الكيان الحضاري الواحد فيكون سببا في إنتحارة (٣٨) . كان لنشوب حروب البلوبونزية عام ٤٣١ ق. م , كارثة إجتماعية و سياسية على اليونان , حيث نعتها (ثوكيديوس) (٣٩) «بداية شرور مستطيرة لهيلاس» (٤٠)

حتى إن إسبارطة ساعدت الثورات داخل الإمبراطورية الاثنية ومن ، خلال هذا التفكك، سيطرت أسبارطة على أثينا وبهذا سقطت الامبراطورية الاثنية التي حققت إنجازاً رائعاً في الإبداع و الخلق الفكري(٤١) وبيّن القرآن الكريم عملية التحلل الحضاري بآيات كثيرة إذ قال تعالى»ما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» (٤٢)وقال تعالى « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة

هل يهلك إلا القوم الظالمون «(٤٣) ومن جملة العوامل التي تؤدي إلى انهيار الحضارة وتفككها هو عبادة القديم، دون النظر إلى القوانين التي تفرضها التحديات الجديدة، وأسوا هذه العبادات ألصنميه ، هي عبادة ألذات حيث يبتعد صاحب هذه العبادة عن الحياة وعن المشاركة مع الآخرين في معبده النرجسي(٤٤).

وابرز مثال في التاريخ على عبادة ألذات في زمن تاريخي قد باد هم ، اليهود(٤٥).

لأنهم ارتدوا عن الوحدانية وآثروا اعتناق عقيدة خاصةٍ بهم ومن خلال هذه العقيدة اِدَّعوا إنهم شعب الله المختار، وأعماهم هذا الزهو، فتردوا في خطا مبُين ، إلا وهو عبادة ذاتهم، والثبوت عند مرحلة تاريخية قد عفا عليها الزمان، ولهذا أصيبوا بالعقم(٤٦).

وأخيرا، نقول: يبقى الإنسان هو المحور والقطب الرئيسي في الارتقاء والسقوط، فإذا، كانت هناك حضارة مزدهرة، فهو يعني، وجود إنسان، وقد وظف العقل- الذي وهبهُ الله له- في صنع الحضارة، وإذا أصبح هناك ترد وتفككُ في الحضارة، فهذا يعني، إنه، أي الإنسان، قد عطل جوهرته (العقل) عن العمل والنشاط الضروري لغرس بذور النمو والتقدم.

المبحث الرابع
الدين وحركة التاريخ لدى أرنولد توينبي

نظر توينبي إلى الاديإن باعتبارها الروح المغذية لجميع الحضارات ، والعقيدة الدينية، هي جزء من الاستيلاد الحضاري التي تقع بين مجتمع فان ٍ وبداية نشوء حضاري(١).

يعيب توينبي على جيبون(٢) إلقاءه مسؤولية ، انهيار الحضارة الرومانية، على الديانة، المسيحية ، واعتبار الأديان سرطانات ، تلتهم الأنسجة الحية للحضارات(٣) ، حيث اعتبر توينبي سقوط المجتمع الهيليني، قد حدث فعلا ، قبل مكابدته - بفترة طويلة- تطفل المسيحية ، أو أية عقائد أخرى دخلت عليه(٤).

يؤمن توينبي، بدور العقائد الدينية ، في مجريات التاريخ، حتّى يمكن القول : أن كل حضارة من الحضارات القائمة، في الوقت الحاضر، نوع من العقيدة الدينية العالمية، وعن طريق الديانات تولدت الحضارة- أصلا- عن حضارة أقدم منها فمثلا الحضارتان المسيحيتان الغربية والشرقية والحضارات الايرانية و العربية تولدتا عن الحضارة السورية بواسطة الإسلام . (٥)

ويلتقي هنا توينبي مع الفيلسوف الاجتماعي (دوركهايم) (٦) بدور الدين في قيام الحضارات ، حيث يقول دوركهايم: (الدين مصدر لكل الحضارات المتقدمة) (٧)

وتتبنى البروليتارية الداخلية(٨) مبدأ الدعوة إلى الأديان العالمية وتستغل هذه البروليتارية ، فرصة قيام الأقلية المسيطرة في أقامة الإمبراطوريات بين أقاليمها فتنشر مبادئها من خلال الوحدة السياسية أو اللغوية أو التشريعية أو المالية أو توسيع شبكة المواصلات في كل إنحاء الإمبراطورية(٩).

وعندما يبدأ زمن الاضطرابات(١٠) تنهار الإمبراطورية (الدولة الجامعة) إمام دفعة الحياة في الديانة الجامعة، التي تنبعث من موكب الأكثرية ، المقهورة ، لتقوض أركان الإمبراطورية الفاسدة ، وما ساد فيها من عبادة باطلة للمعايير النسبية، وتقديس مهدور للصنميات، الفانية، في شتى مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية، ثم تلهب الحياة بعد ذلك في الحضارة العاطلة(١١).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة في انتشار الإسلام ، ما بين ثنايا عالم سرياني (سوري) متحلل(١٢) ويقول غوستإن ليبون(١٣)»لقد أبدع العرب من فورهم ، بعد إن استعانوا بحضارة اليونان والحضارة الرومانية، حضارة جديدة أفضل من الحضارات التي جاءت قبلها»(١٤).

يحيق بالأديان العالمية -بمرور الزمن- بعض الانحرافات وهذا ما اقره توينبي في كتابه (بحث في التاريخ) حيث يقول:»يحيق بنا على الدوام خطر الانحراف عن بحثنا عن الله إلى تمجيد الإنسان»(١٥).

ويلتقي توينبي في هذه النتيجة مع الفيلسوف (كَانت) (١٦) عندما يقول:»لقد قرب المسيح ما بين مملكة الله والأرض ولكن أخطانا في فهمه ، فاستبدلنا بمملكة الله، القدسيين»(١٧).

انحرف زعماء الكنيسة المسيحية في كثير من الأحيان، عن المبادئ الأصلية، إذ جعل رجال الدين، من الدين مهنة يحتكرونها، دون الناس جميعا، واتصفوا، بذلك بالرياء الذي كان من سمات الفرسيين(١٨) والشيء الذي قاد المسيحيين إلى التعصب الأعمى، هو دخول التأثيرات اليهودية على المسيحية ،وبرأي توينبي إن هذه الردة ،قد كبدت المسيحية خسارة روحية جسيمة (١٩)

يعتبر توينبي اليهودية ، بقايا متحجرة، لأنها ظلت محفوظة في لحاء ديني متعصب(٢٠)، وهذا التعصب الديني، عند اليهود، قادهم إلى كره الإسلام، لأنه سلبهم احتكار مبدأ الروحانية، ولأن الإسلام، يتسامى، في مبادئه على اليهودية، بما لا يقاس، بالإضافة إلى عالمية الدين

الإسلامي ، فأن الأيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، ليس نعمة، اختص الله بها اليهود وحدهم، بل متاحة للبشر(٢١).

يؤمن توينبي، ببعض الحركات الإصلاحية في الدين، والتي تنقي الدين من كل حيثيات التعصب، التي قد تحيق بالديانة العالمية

فيقول في ذلك: (اكتشف الزنجي الأمريكي في المسيحية طائفة من المعاني والقيم الطريفة التي جهلتها المسيحية الغربية طويلا ... وبهذا استطاعوا، إن يوفقوا في إشعال النار في رماد المسيحية الخامدة)(٢٢).

يدعوا توينبي إلى التوفيق ما بين الدين والعلم، ونجده يقول في ذلك:

«وإذا كان العلم قد انتصر على الدين في البلاد المتحضرة، انتصارا ساحقا، فإن هذا الانتصار، يعتبر كارثة لا على الدين وحدة ولكن على العلم كذلك ، فإن كلا من العقل و الدين ملكة جوهرية من ملكات الطبيعة البشرية « (٢٣)

تهدف الحركات الدينية الإصلاحية إلى أيجاد الحلول الوسطى لتكييف العقيدة المسيحية ,كي يمكن لها الصمود ,أمام التقدم العلمي(٢٤) .فمثلا أيزاك نيوتن (٢٥) برهن على وجود الله من ناحية الغائية البادية في نظام العالم وجماله , حيث نظامنا الشمسي , لا يفسر بقوانين آلية , بل بقوة فائقة للطبيعة رتبت لكل جرم سماوي حجمه و ثقله و سرعته و الأبعاد بين كل جرم (٢٦) و حاول (غاليلو) (٢٧)إن يفسر الإنجيل بشكل يتلاءم مع المكتشفات الفلكية التي، قد توصل إليها .(٢٨)

ويحاول توينبي إن يوازن بين الدين من ناحية و التقدم المادي من ناحية فيقول :» العرق العلماني الموجود في النشاط الروحي إنما هو مصطلح وسط بين الدين من ناحية , و نشدان القوة المادية من ناحية الأخرى «(٢٩)

فأذن , إن للأديان دوراً فاعلاً في إيجاد الحضارة لما تتميز بـه من مواصفات روحية , ولكن بمرور الزمن , يصيب هذه الأديان الوهن, بفعل التأثيرات المادية و الأسطورية , فيجعلها غير مجدية في الحياة , ولهذا تحتاج إلى الحركات الإصلاحية لتنقيها من كل الشوائب الداخلية فيها .

المبحث الخامس
البطل في التاريخ في منظور توينبي

عكس توينبي , مفهوم البطل في التاريخ من خلال الأقلية المبدعة الذين يستطيعون إن يجابهوا التحدي الذي يواجه المجتمع (١) و يعرف بول تورانس الإبداع « بأنه عملية التحسس بالمشكلات , و النقائص ..ثم تحديد الصعوبة وبيان هويتها ثم البحث عن الحلول , و أجراء التخمينات أو ّقل , اذا شئت , صياغة الفرضيات ... ثم اختبار هذه الفرضيات , و أخيرا صياغة النتائج ونقلها إلى الواقع»(٢)

تتنوع البطولة , من حيث اختصاص الأفراد العباقرة في المجال الذي يبدعون فيه , فيقول توينبي : « ... إن زمرة المتسلقين _ رغم عن كونهم بالتأكيد أفراداً ينفصل بعضهم عن البعض الأخر _ يشتركون جميعا في عمل متماثل لأنهم يحاولون تسلق سطح المنحدر , ذاته من نقطة البداية نفسها»(٣)

تعريفنا للبطل يقودنا إلى إن نفرق بين الرجل كصانع للإحداث وبين رجل الأحداث . فالرجل كصانع للإحداث ،هو الرجل الذي يؤثر على الأحداث التاريخية .

إذن أنّ أي إنسان , لا يستطيع , إن يقوم بها إلا هو وحده , بينما رجل الإحداث هو الرجل الذي تحفل حياته بالأحداث التاريخية , وأيّ شخص بديل من الممكن إن يقوم بها بدلا عنه و من الممكن إن نقارنه بالطفل الهولندي الصغير الذي سد ثقب السد بإصبعه و أنقذ مدينته من الغرق و كان بإمكان أي إنسان في مثل تلك الحالة إن يفعل ما فعلَهُ ذلك الطفل .(٤)

لم يؤيد توينبي (المدرسة ألاسميه)،في تأكيدها على مجرد وجود الفرد فقط ،وتعتبره هو الحقيقة الواقعية الوحيدة و المجتمع تركيب خيالي لاوجود له (٥) وخاصة بما أكّده كارليل , عندما اعتبر التاريخ هو تاريخ العظماء , فليس ثمة تاريخ بغير عظماء (٦)

وكان لا ينحو منحى (المدرسة الاجتماعية) أو الواقعية التي تنكر وجود الفرد خارج إطار المجتمع (٧) تبعا لرؤية فولتير التي ترى , إن صانع التاريخ ليس واحد بل الناس جميعا , بحيث « إن التفكير لمعرفة التتابع الزمني لجميع السلالات،تعُتبر مجرد كلمات لافائدة منها»(٨) يسلك توينبي مسلكاً متوازناً بين دور المجتمع ودور الفرد ،فهو يقول : «لا تجد شخصية مجالها في التعبير والارتقاء إلا ،بإقامتها علاقات مع شخوص أخرى ،ومن ثم لا وجود لمجتمع «، إلا ،في مناحي نشاط الأفراد الذين لا يتأتى لهم

بدورهم وجود . الا في المجتمع (٩) ومن هنا توصل توينبي إلى إن (الفرد مصدر الفعل ،والمجتمع هو الميدان لهذا الفعل (١٠).

يشرح توينبي في كتابه (بحث في التاريخ)عملية الاعتزال و العودة ودورها في خلّق الأبطال ،حيث يتيح الاعتزال للشخصية ،تحقيق الطاقات ،التي بداخل الشخصية ،وقد يكون الاعتزال ،فعلاًاختيارياً قامت به الشخصية من تلقاء نفسها ،أو تفرضه عليها ظروف أقوى من إرادة تلك الشخصية (١١).

يصبح الاعتزال الذي يؤدي إلى تسامي الشخصية ، بلا فائدة أو يغدو بلا معنى ،الا في حالة عودة الشخصية المتجلية على الوسط الاجتماعي ،الذي وفدت منه ،أصلا. (١٢)

يصرح الله تعالى بهذه الحقيقة بقوله في محكم كتابه «ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اتبعوا الله ٠٠٠٠)(١٣)

تقع مسؤولية البطل في إعادة تشكيل الواقع وصياغتهٍ على منوال ما صدر فيه من أبداع داخل شخصيته ، و الذي تميز به دون الآخرين (١٤) .

تواجه البطل مشكلة إقناع الأكثرية غير المبدعة ؟ و الجواب على هذه المشكلة , يكمن في الطريقة التي يتبعها البطل في التأثير و الاقناع , لخلق أقلية موالية له , وهذا ما يسميه توينبي بـ(التشابه الموحد) ،(١٥) تقوم هذه الأقلية الصغيرة بتطبيق نوع من التدريب الاجتماعي بواسطة حشد ملكة المحاكاة (١٦) في نفوس الجماهير العاطلة عن الإبداع (١٧) ومن هنا كان من شروط نجاح(المحاكاة) هو إن تكون شخصية البطل كروزماتيكيه (١٨).

لتمضي بالمجتمع قدما وتجر, من ورائها تلك الأغلبية الخاملة (غير الخلاقة)(١٩) وهذا النوع من المحاكاة يعتبر من الطرق الفاعلة في عملية الانقياد الاجتماعي (٢٠) ومن النماذج البطولية التي تدخل ضمن إطار نظرية توينبي ،هي شخصية الرسول(ص) والتي يتخذها توينبي , مثالا, في كتابه (بحث في التاريخ) فنجده يقول : (اتخذت رسالة محمد في البداية حركة الاعتزال و العودة و كرس محمد حياته لتحقيق عنصر الوحدانية في الجزيرة العربية وعنصر القانون و النظام أيضاً و تم ذلك فعلا بفضل الإسلام) (٢١)

تتجه , جماهير العامة إلى الاستعاضة بمحاكاة أجدادها إلى محاكاة الشخصيات البشرية المبدعة في عصرها ويتم ذلك عند تحول الحضارة من حالة الهدوء إلى حالة النشاط

وفي حالة فشل المبدع في تغير الواقع فإن القوة الإبداعية الخالقة تتحول وبالا علية إذ يفقد الوثبة التي تدفعُه للعمل و يفقد بذلك إرادة الحياة هذا إذا لم يدفع الأفراد المعاصرون له رأسهُ إلى المقصلة بسرعة و اِتهامه بشتى النعوت بوصفه منحرفا و شاذا عن القطيع أو شيئا غريبا عن الخلية (٢٣) فمثلا كان للآراء الفلكية الجديدة التي اقرها (غاليلو) في أبحاثه العلمية _ و التي تبين إن الشمس هي مركز الكون و ليس الأرض حسب الاعتقاد القديم ـ أثرُ في جعل الكنيسة الكاثوليكية ، أن تقف بالضد من أراء غاليلو , ودعت محكمة التفتيش إلى اعتقاله و أرغامه عن التنازل عن أرائه (٢٤) .

الهوامش

هوامش المبحث الأول

(١) ارنولد توينبي، مجلة العالم العربي، العدد الثالث، السنة١٣، بيروت،١٩٦٤، ص١٨.

(٢) د.هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة، الموصل، د.ت ، ص٢١١.

(٣) تراث الإنسانية، مجموعة من الباحثين العرب، المجلد الثالث، مطابع كوستا توماس وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٨.

(٤) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، تعريب، أمين محمود الشريف، دار إحياء الكتب العربية، مطابع عيسى ألبابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٨.

(٥)ازوفالد شبنجلر، فلسيوف ألماني(١٨٨٠-١٩٣٦) واشتهر بكتابه (أقوال العرب) ، انظر، عبد المنعم الخفي، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون،ص١

(٦) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص١٨.

(٧) فاوست : هي أحدى الدلالات الأدبية في القرن الثامن عشر التي بيّنت تحدي الشيطان لله، جبور عبد المنعم، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٤٥.

(٨) جوته: شاعر ألماني (١٧٤٩-١٨٣٢) أصدر الجزء الأول من فاوست عام وفي عام ١٨٣٢ أصدر الجزء الثاني، جبور عبد المنعم، المصدر نفسه، ص٣٤٦

(٩) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص١٩.

(١٠) محمود زايد، سيرة الفكر التاريخي عند توينبي، (بحوث مهرجان المؤرخ توينبي)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩،ص٧٣.

(١١) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص١٢.

(١٢) التحدي الأفضل والأكثر ايجابية.

(١٣) ارنولد توينبي، مختصر دارسة التاريخ، ج١،تعريب، فؤاد محمد شبل، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص٤٣٢.

١٤) ارسطوطاليس، فيلسوف يونإني(٣٨٤-٣٢٢ق.م)، انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص٣٥.

(١٥) محمد يوسف موسى، تاريخ الأخلاق، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٣، ص٨٩.

(١٦) أرسطو طاليس، علم الأخلاق، الجزء الأول، تحقيق، بارتلمي سإنتهلير، تعريب، احمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤، ص٢٥٠.

(١٧) عبد الرحمن بن خلدون(٧٣٢هـ-٨٠٨هـ)، وهو أديب ومؤرخ اجتماعي وله مؤلفات عديدة أهمها(العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) انظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٨، ص١٨٩.

(١٨) محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، (حياته وتراثه الفكري) الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٨٨.

(١٩) نوري جعفر، التاريخ(مجالهُ وفلسفتُه)، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٥،ص٩٣.

(٢٠) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، حجر عاصي، دارمكتبة الهلال، بيروت،١٩٨٦، ص١٨٥.

(٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج٣،ص١٥٢.

(٢٢) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص١٩.

(٢٣) توماس كارليل: مؤرخ اسكتلندي، درس ليكون قسيسا ولم يعمل في الجامعة وأنكب على الكتابة الحرة فخرج بكتاب عنوانه(عن الأبطال وعبادة البطل)، انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق،ص٣٦١.

(٢٤) محمود زايد ، المصدر السابق، ص٧٣.

(٢٥) محمود اسماعيل ، البطل التاريخي بين كارليل وتوينبي،مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، بغداد ، ١٩٧٨، ص١٦١.

(٢٦) محمد محمود، في الأدب الإنكليزي، مطبعة لجنة البيان ، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٧٣.

(٢٧) محمود اسماعيل، المصدر السابق، ص١٦١.

(٢٨) ارنولد توينبي مختصر دراسة التاريخ، ج٢، ص٤٣٣

(٢٩) المصدر نفسه، ص١٥٣.

(٣٠) ريموند كارفيلد كيتل، العلوم السياسية ، تعريب، فاضل زكي محمد ، الطبعة الثانية، دار التضامن، بغداد ،١٩٦٣، ج٢،ص١٥٧.

(٣١) هنري برجسون، (١٨٥٩-١٩٤١)، وهو يهودي فرنسي تخرج من مدرسة المعلمين ، وكان له تأثير على الأدب والفكر في أوربا واهم كتبه (المادة والذاكرة) و (التطور الخلاق) و(الطاقة الروحية) ،انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٣٢) عبد الجليل الطاهر، مسيرة المجتمع، دار الكتب المصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٦، ص٤٦١.

(٣٣) هنري برجسون، ينبوع الأخلاق والدين، ص٣٣٣، نقلا عن كتاب ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١،ص٣٥٤.

(٣٤) اتجاه فلسفي في القرون الوسطى، يذهب إلى التأكيد بأنه لا وجود في الواقع الا الأشياء المنفردة ، إما المفاهيم العامة فهي من صنع تفكير الإنسان ، فمثلا لا وجود في الواقع الموضوعي (إنسان) بل هناك عمر وزيد...الخ، انظر عبد الرزاق مسلم ماجد، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة

وعلم الاجتماع ، دار المكتبة العصرية ، بيروت، د.ت، ص١٢.
(٣٥) ظهرت بوادر هذه المدرسة منذ عهد سقراط وأفلاطون ، وتؤكد هذه المدرسة على إن المجتمع وحده هو الحقيقة، وإن وجود الفرد يعتمد ، وحده على المجموع، دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، تعريب، احسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٠،ص٢٤٦.
(٣٦) ارنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٣٥٤

هوامش إلمبحث الثاني

(١)فؤاد محمد شبل،منهاج توينبي التاريخي ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة،د.ت ص١١.
(٢)ادوارد جيبون :مؤرخ إنكليزي ،وصاحب كتاب (تاريخ أفول وسقوط الإمبراطورية الرومانية) بستة أجزاء مابين (١٧٧٦_١٧٧٨)،عبد المنعم الخفي ،المصدر السابق ،ص١٦٣.
(٣)كولون ولسن،سقوط الحضارة ،تعريب، إنيس زكي حسن، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣، ص١٤٥.
(٤) محي الدين اسماعيل ، توينبي (منهج التاريخ وفلسفة التاريخ)، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٦، ص٣٦.
(٥) البان جريجوري ويدجيري، التاريخ وكيف يفسرونه، تعريب ، عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٢٣٠.
(٦) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٤٢٥.
(٧) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص٢٣.
(٨) سيوفوس، هو في الأساطير اليونانية، شخص حكم عليه بأن يدحرج حجرا ضخما إلى إن يبلغ قمة أحدى التلول، لكنه قبل إن يبلغه ، يعود الحجر إلى نقطة البداية، ويبقى هكذا إلى الأبد، ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١،ص٤٢٧.
(٩) محي الدين اسماعيل، المصدر السابق ، ص ٣٤.
(١٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٥
(١١) المصدر نفسه ، ص٦ .
(١٢) فؤاد محمد شبل ، منهاج توينبي التأريخ ، ص١٤
(١٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٧
(١٤) محي الدين إسماعيل، المصدر السابق ، ص٣٤
(١٥)عفت محمد الشرقأوي ، أدب التاريخ عند العرب ، دار العودة ، بيروت ، د.ت، ص٩١.
(١٦) اسحق عبيد ، معرفة الماضي من هيرودوت إلى توينبي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١، ص١٤٤.
(١٧) الفلسفة الوضعية ، هي فلسفة التي تعتبر أي عبارة بدون معنى اللهم إلا إذا تم التحقق من صحتها بطريقة قاطعة ، انظر ، زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرةج١، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص٣١٢.
(١٨)كولون ولسن ، المصدر السابق ، ص١٤٦.
(١٩) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٤٦٦-٤٦٧.
(٢٠) عفت محمد الشرقاوي، المصدر السابق، ص٢٣٠.
(٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٧٢.
(٢٢) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٣١٢.
(٢٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٥.
(٢٤) كولون ولسن، المصدر السابق، ص١٤٦.
(٢٥) احمد محمود صبحي ،في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية ، د.ت، ص٢٦١.
(٢٦) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص١٨.
(٢٧) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص٢٦١.
(٢٨) البإن جريجيوري ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، تعريب، ذوقان قرقوط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٢٥.
(٢٩) تراث الإنسانية ،المصدر السابق، ص٣٣٥.
(٣٠) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص٢٦٢.
(٣١) فؤاد محمد شبل ، منهاج توينبي التاريخي، ص١٠٣

هوامش المبحث الثالث

(١) فؤاد محمد شبل ، مناهج توينبي التاريخي، ص٤١.
(٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص١٢٨.
(٣) ألين واليانج، مدرسة صينية قديمة، تقوم على مبدأين كونيين، الأول سالب، سلبي مستكين، والثاني ايجابي، فعال وقوي، ومن تفاعل المبدأين تتولد الأشياء ، عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص٤٢٤.
(٤) كولون ولسن، المصدر السابق، ص١٤٧.
(٥) البإن ويد جيري، المذاهب الكبرى في تفسير التاريخ، ص٣٢٤.
(٦) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص١٤٧.
(٧) المصدر نفسه، ص١٨٦.
(٨) جعفر نوري ، المصدر السابق، ص٩١.
(٩) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ ،ج١،ص١٤٧
(١٠) جورج رو، العراق القديم، تعريب، حسين علوان حسن، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

١٩٨٦، ص٢٧.
(١١) صموئيل كريمر، من ألواح سومر، تعريب، طه باقر، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت، ص٩
(١٢) ارنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص١٤٨.
(١٣) المصدر نفسه، ص٢٤٣.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٣٣.
(١٥) منح خوري ، التاريخ الحضاري عند توينبي، دار العلم للملايين ،بيروت، ١٩٦٠، ص٣١، ص٣٢
(١٦) المصدر نفسه، ص٣١.
(١٧) كار ل بروكلمإن ، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٥٥، ج٣،ص٣١.
(١٨) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ،ج١، ص١٨٣
(١٩) محمد الفاتح ، سلطان عثماني، حكم ما بين (١٤٥١_١٤٨١)، أنظر : نخبة من الباحثين ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص١٦٥٨
(٢٠) كار ل بروكلمإن ،المصدر السابق، ج٣، ص٤٢.
(٢١) ارنولد توينبي، مختصر دارسة التاريخ، ج١، ص١٨٧.
(٢٢) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص٢٦٩.
(٢٣) زيغريد هونكه، مستشرقة ألمانية، كان لكتابها(شمس العرب تسطع على الغرب) أصداء واسعة في العالم الأوربي ، وتسليط الأضواء على ما للتراث العربي من فضل في نهضة الغرب، انظر ، زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، مطابع الفندق، بيروت ، ١٩٦٤، (تقديم المترجم)، ص٢
(٢٤) زيغريد هونكه، المصدر نفسه، ص٣٥٦_ص٣٥٧.
(٢٥) ارنولد توينبي ، الوحدة العربية آتية(من النيل إلى النيجر) تعريب، عمر الديراوي، انو حجلة، دار الأدب بيروت ، ١٩٦٨، ص١٧٧.
(٢٦) منعم خوري، المصدر السابق، ص٣٢.
(٢٧) د. علاء حسين الرهيمي ، محاضرات في تاريخ العالم الثالث، (مخطوط) ألقيت على طلاب للعام ١٩٩٩
(٢٨) فؤاد محمد شبل ، منهاجتوينبيالتاريخي ،ص ٢١٤.
(٢٩) ارلوندتوينبي،مختصر دراسة التاريخ ، ج١ ، ص٢٤٢.
(٣٠) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة الفيض الأهلية ، بغداد ١٩٥٢، ج٢ ، ص١٠٤-١٠٥ .
(٣١) الحاقة الآية ٦
(٣٢) منح خوري ، المصدر السابق ، ص٤٠
(٣٣) محمود زايد ، المصدر السابق ، ص٧٣
(٣٤) ارلوندتوينبي،مختصر دراسة التاريخ ، ج١ ، ص٤١٢.
(٣٥) منح خوري ، المصدر السابق ، ص٤١
(٣٦) عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعة الثانية ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٨٢-٨٣ .
(٣٧) احمد محمود صبحي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .
(٣٨) منح خوري ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٣٩) ثيوكيديوس: مؤرخ يوناني عاصر حروب البولوبونيز (٤٣١-٤٠٤ق.م) وكتب عن هذه الحرب الأهلية في اليونان وكان يجول في المناطق بحثا عن الوثائق، أنظر د.حسان حلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦،ص٢٤٠-٢٤١.
(٤٠) ارلوندتوينبي،مختصر دراسة التاريخ، ج١، ص٤٣٩.
(٤١) عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص٣٤٠-٤٣١.
(٤٢) هود الآية /١١٧
(٤٣) الإنعام الآية / ٤٧
(٤٤) النرجسي، شخصية أسطورية مشتقة من لفظة نرسيس اليونانية، وتشير الأسطورة إلى إن نرسيس كان بارع الجمال، وعندها وصل عند ينبوع الماء رأى شكله في الماء فافتتن بشكله، حتى الموت، أنظر جبور عبد نور، المصدر السابق، ص٢٧٩.
(٤٥) إسحاق عبيد، المصدر السابق، ص٢٧٩.
(٤٦) فؤاد محمد شبل، مشكلة اليهودية العالمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة ، ١٩٧٠، ص٤٧.

هوامش المبحث الرابع

(١) ارلوندتوينبي،مختصر دراسة التاريخ ، ج٣ ، ص١٢٥.
(٢) ادوارد جيبون : مورخ إنكليزي ، صاحب كتاب / تاريخ أفول و سقوط الإمبراطورية الومانية ، وهذا الكتاب بستة أجزاء ، وعاش (١٧٧٦_ ١٧٨٨) أنضر ، عبد المنعم الخفي ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
(٣)تراث الإنسانية ، المصدر السابق ، ص٣٣٦
(٤) ارلوندتوينبي،مختصر دراسة التاريخ ، ج٣ ، ص١٤٦
(٥)تراث الإنسانية ، المصدر السابق ، ص٣٣٦
(٦) دوركيهام ، عالم اجتماعي فرنسي عاش بين(١٨٥٨-١٩١٧)، انظر دينكن ميشيل المصدر السابق ص١١٢.
(٧) مليحة عوني القصير ومعن خليل العمر، المدخل إلى علم الاجتماع ، جامعة بغداد ، ١٩٨١، ص٤٤٤.
(٨) البرولتياريا الداخلية: يعرفـّها توينبي بأنها ذلك العنصر الاجتماعي التي تكون في مجتمع ما ولكنها لا تكون منه في أي دور تاريخي، أي إنها غير منتمية له من حيث الايمإن بتقاليده وأعرافه، عماد الدين خليل ، المصدر

السابق، ص٨٦.
(٩) احمد محمود صبحي ، المصدر السابق،ص٢٧٧ .
(١٠) منح خوري ، المصدر السابق ،ص٤٠.
(١١) عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص٨٤.
(١٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج٣، ص١٥٥
(١٣) غوستإن ليبون: مؤرخ فرنسي، أنظر غوستاف ليبون ، ، حضارة العرب، تعريب، ،دار أحياء الكتب العربية، بيروت،١٩٥٦.
(١٤) غوستإن ليبون ، المصدر نفسه ، ص١٤.
(١٥) آلبان جريجوري ويد جيري، التاريخ وكيف يفسرونه، ص٢٣٧.
(١٦) كَانت: هو فيلسوف بروسي ولد في بروسيا الشرقية وهي المانيا حاليا، واشتغل بالتدريس، عاش ما بين(١٧٢٤-١٨٠٤) «انظر عبد المنعم الحفني، المصدر السابق، ص٣٧٢-٣٧٣.
(١٧) احمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ج١،ص٣٠٥.
(١٨) الفرسيين، طائفة من اليهود ، كان رأيها الغلو في الدين والتظاهر بالتشدد في تطبيق أوامره حتى باتت رمزاً للرياء والنفاق، انظر، ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج٣، ص١٧١.
(١٩) تراث الإنسانية، المصدر السابق، ص٢٠.
(٢٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج٣، ص١٥٥
(٢١) فؤاد محمد شبل، مشكلة اليهود العالمية، ص٨١.
(٢٢) عفت محمد الشرقاوي، المصدر السابق ، ص١٠١
(٢٣) فواد محمد شبل، منهاجتوينبيالتاريخي ، ص ٨١
(٢٤) د. قيس هادي احمد ، نظرية العلم عند فرنسيس بيكون، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٤.
(٢٥) نيوتن، (١٦٤٢_١٧٢٧) فلكي و فيلسوف بريطاني واهم كتبهُ ، هي المبادئ ألرياضيه للفلسفة الطبيعية و البصريات ، أنضر عبد المنعم الحفني ، المصدر السابق ، ص ٤٩٣.
(٢٦) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٤٨
(٢٧) غاليلو : (١٥٦٤ _ ١٦٤٢) فلكي إيطالي وأول من اكتشف بأن الشمس مركزة الكون ، بشكل رياضي ، أنظر (الموسوعة الفلسفية) نخبة من العلماء السوفيت ، ط٢ ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣١٧ .
(٢٨) يوسف كرم ، المصدر السابق ، ص١٥٠
(٢٩) البإن جريجوري ويد جيري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥

هوامش المبحث الخامس

١) كولن ولسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٨
٢)فاخر العاقل ، الإبداع و تربيتهُ ، دار العلم للملاين ، بيروت ، ١٩٨٩، ص٨ .
٣) ارنولدتوينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج١ ص ٤٠٤ .
(٤)سدني هوك ،البطل في التاريخ ،تعريب ،مروان الجابري ،مؤسسة فرإنكلين ،»بيروت _نييورك « ، ١٩٥٩ص١٥٥.
(٥)عبد الجليل الطاهر ،المصدر السابق،ص٤٦١.
(٦)محمود اسماعيل ،المصدر السابق ،ص١٦٠ ،ص١٦١
(٧)عبد الجليل الطاهر ،المصدر السابق،ص٤٦١.
(٨)روبرت لافون جرابون ،قضايا الساعة ،تعريب ،نادية القباني ،د.ت ،١٩٧٧،ص٣٨.
(٩)ارلوند توينبي ،مختصر دراسة التاريخ ،ج٣ ،ص١٤٧.
(١٠)المصدر نفسه ،ص٣٥٤.
(١١)المصدر نفسه ج١،ص٣٦٣
(١٢) المصدر نفسه ج١،ص٣٦٣.
(١٣)النحل الآية ٦٣.
(١٤) محمود إسماعيل ، المصدر السابق ، ص٣٤
(١٥) كولن ولسن ، المصدر السابق ، ص١٤٧
(١٦) المحاكاة : هي نوع من الإيحاء ، يقوم ، بإحداث تفاعل بين الأفراد و الجماعة و تعتبَر اللغة من الوسائل المهمة التي تعتمد عليها المحاكاة ، أنظر مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، ط٤ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٧٠_١٧١ .
(١٧) ارنولدتوينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج٢ ص ٤٣٣ .
(١٨) كروزما تيكي: تعني في اللغة الاغريقة بـ (ألرحمه الإلهية) و أول من استعمل هذا المصطلح (أرنست ترو لتش) و (ماكس فيبر) و الذي يعني بها قابلية الشخص على القيادة و الإلهام ، بفضل شخصية و عبقريته ، وعقيدته ، دينكن ميشيل ، المصدر السابق ، ص٥٩ .
(١٩) اسحق عبيد ، المصدر السابق ، ص١٣٥
(٢٠) عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص٨٠
(٢١) ارنولدتوينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج١ ص ٣٨١ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٨١.
(٢٣) عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص٤٦٣
(٢٤) نبيل عبد الحميد الجبار ، غاليلو غاليلي ، في ابحث الاتجاه الافلاطوني ، مجلة أبحاث، العدد الأول ، السنة الأولى ١٩٨٩، ص١٩ .